المجلس الثاني

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

المتن:

بسم الله الرحمن الرحيم..

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أبواب أمور الدين:

وَالـدِّيْنُ قَـوْلٌ بِقَلْـبٍ واللِّسَـانِ وأعْـ ** مَـالٌ بِقَلْـبٍ وَبِالأَرْكَـانِ مُعْتَمِـدُ
يَـزْدَادُ بالـذِّكْرِ وَالطَّاعَـاتِ ثُـمَّ لَـهُ ** بِالـذَّنْبِ وَالْغَفْلَـةِ النُّقْصَـانُ مُطَّـرِدُ
وَأَهْلُـهُ فِيْـهِ مَفْضُـوْلٌ وَفَاضِـلُهُ ** مِـنْهُمْ ظَلُـومٌ وَسَـبَّاقٌ وَمُقْتَصِـدُ
وَهَـاكَ مَـا سَـأَلَ الـرُّوْحُ الأَمِـيْنُ رَسُـوْ ** لَ اللهِ عَنْ شَرْحِهِ وَالصَّحْبُ قَدْ شَهِدُوا
فَكَـانَ ذَاكَ الْجَـوَابُ الـدِّيْنَ أَجْمَعَـهُ ** فَافْهَمْـهُ عِقْـدًا صَـفَا مـا شَـابَهُ عُقَـدُ

الشرح:

قال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: (**أبواب أمور الدين**).

قال: (**والدِّيْنُ قَوْلٌ بِقَلْبٍ واللِّسَانِ وأعْمَالٌ بِقَلْبٍ وَبِالأَرْكَانِ مُعْتَمِدُ**): أي: هذا هو المعتمد عند أهل السنة والجماعة في حد الإيمان وتعريفة، وأن الإيمان قولٌ واعتقادٌ وعمل.

قال: (**والدِّيْنُ قَوْلٌ بِقَلْبٍ واللِّسَانِ**)؛ قولٌ بالقلب اعتقادًا، وقولٌ باللسان نطقًا وتلفظًا، وكل أمرٍ بالقول في القرآن والسنة فإنه يشمل قول القلب واللسان؛ كقوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٣٦]؛ أي: قولوا ذلك بقلوبكم معتقدين، و بألسنتكم ناطقين ومتلفظين.

والقول إذا أُطلق يشمل قول القلب واللسان، وإذا قُيِّد فهو بحسب ما قُيِّد به، ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم﴾ [سورة آل عمران، من الآية:١٦٧]؛ ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم﴾ [سورة الفتح، من الآية:١١]؛ لكن إذا أُطلق فإنه يشمل قول القلب واللسان، وقول القلب هو الاعتقاد الذي ينطوي عليه القلب، وقول اللسان هو نطقه بالتوحيد.

(**والدِّيْنُ قَوْلٌ بِقَلْبٍ واللِّسَانِ وأعْمَالٌ بِقَلْبٍ وَبِالأَرْكَانِ مُعْتَمِدُ**): الأركان أي: الجوارح والأعضاء، (**وأعْمَالٌ بِقَلْبٍ**)؛ أعمال القلب هي الأعمال التي يقوم بها العبد في قلبه زائدة على الاعتقاد الذي هو أصلُ الدين

وأساسُه؛ كالرجاء، والخوف، والإنابة، والتوكل، والخشية، والرغبة، والرهبة، وغير ذلك من الأعمال القلبية؛ فهذه كلها داخلة في مسمى الإيمان كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**والحياء شُعبة من شعب الإيمان**».

قوله: (**وَبِالأَرْكَانِ**): أي: الأعضاء والجوارح؛ فعرَّف -رَحِمَهُ ٱللَّهُ - الإيمان بهذا التعريف المعتمد عن أئمة السلف -رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تعالى-؛ وهو أن الإيمان قول وعمل؛ الشطر الأول من البيت فيما يتعلق بالقول وما يندرج تحته، والشطر الثاني من البيت فيما يتعلق بالعمل وما يندرج تحته.

قال: (**يَزْدَادُ بالذِّكْرِ وَالطَّاعَاتِ**): أي: بذكر الله جَلَّ وَعَلَا، وذكر الله جَلَّ وَعَلَا أعظم ما يزيد به الإيمان، وأيسر الأعمال على الإنسان: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»؛ فذِكرُ الله يثقِّل الموازيين ويزيد إيمان العبد ويقويه، وهو من أيسر الأعمال على العبد وأخفها، خفيفتان.

والطاعات عمومًا تزيد في الإيمان، وخصَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذكر مع دخوله في عموم الطاعات لعظم شأنه، وكبر أثره.

(**ثُمَّ لَهُ**): أي: الإيمان. (**بِالذَّنْبِ وَالْغَفْلَةِ النُّقْصَانُ مُطَّرِدُ**): بالغفلة عن ذكر الله، وبالوقوع بالذنب والغفلة ينقص، ينقص بالمعصية، وينقص بالغفلة عن الطاعة، وعن ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ كما قال عمير بن حبيب الخطمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "الإيمان يزيد وينقص"، قيل: وما زيادته ونقصانه؟ قال: "إذا ذكرنا الله وسبَّحناه وحمدناه زاد، وإذا غفلنا نقص". فالإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وينقص بالغفلة.

قال: (**بِالذَّنْبِ وَالْغَفْلَةِ النُّقْصَانُ مُطَّرِدُ**): أي: أن نقصان الإيمان حاصل وواقع بذلك باضطراد وبدوامٍ واستمرار، كلما كان العبد يقع في الذنوب ويُقارف الآثام، وتشغله الغفلة عن ذكر الله وطاعته؛ فإيمانه لا يزال في نقص وضعف.

(**وَأَهْلُهُ فِيْهِ مَفْضُوْلٌ وَفَاضِلُهُ**): أهل الإيمان في الإيمان ما بين مفضول وفاضل؛ وذلك بحسب حظهم من الإيمان؛ فكلما ازداد العبد إيمانًا ازداد فضلًا ورفعة، وكلما نقص إيمانه؛ ضعف حظه ونصيبه من الفضل.

ولهذا فإن من عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان أن أهله فيه متفاضلون، ليسوا فيه على درجةٍ واحدة؛ ولهذا تفاضل الثواب يوم القيامة؛ قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف كما تراءون الكوكب الدري الغابر في السماء لتفاضل ما بينهم**»، هكذا قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وفي القرآن: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [سورة الأحقاف، من الآية:١٩]، فأهل الإيمان في الإيمان متفاضلون، وهم في تفاضلهم في الإيمان في الجملة على ثلاثة أقسام قررها رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله:

(**مِنْهُمْ ظَلُومٌ وَسَبَّاقٌ وَمُقْتَصِدُ**): هذه أقسام أهل الإيمان في تفاضلهم في الإيمان من حيث الجملة، وإلا فإن أهل كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة أيضًا متفاضلون؛ قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [سورة فاطر، من الآية:٣٢-٣٣].

فهذه أقسام أهل الإيمان، أقسام عباد الرحمن، أقسام المصطفيْن الذين ورثوا الكتاب: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾؛ فذكر أقسامهم جَلَّ وَعَلَا، ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾؛ قال بعض المفسرين: بدأ بالظالم لئلا يقنط، وأخَّر السابق لئلا يغتر: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾، وكلٌّ من هذه الأقسام الثلاثة يدخل الجنة؛ ولهذا قال: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾؛ والواو تشمل الثلاثة بما فيهم الظالم لنفسه.

والمراد بظلم النفس هنا: أي بالذنوب والمعاصي التي هي دون الكفر بالله، بدليل أنه قد جاء في سياق هذه الآيات ذكرُ من ظلم نفسه بالكفر، وذلك في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [سورة فاطر، من الآية:٣٦-٣٧]؛ فهذا ظلم الكفر الذي يوجب الخلود في النيران.

أما الظلم الأول -وهو ظلم النفس أي: بالمعاصي-؛ وهذا وإن تسبب في دخول النار إلا أن صاحبه لا يُخلد فيها؛ لأنه لا يخلد في النار إلا المشرك، وعليه فإن الظالم لنفسه بالمعصية يدخل الجنة، لكن كما جاء في الحديث: «**يصيبه قبل ذلك ما يصيبه**»، لكن مآله ومصيره إلى الجنة.

والمقتصد والسابق بالخيرات يدخلان الجنة دخولًا أوليًا؛ أي: بدون حساب ولا عذاب كما قرر ذلك شيخ الإسلام في [**كتاب الإيمان**]، وغيرُه من أهل العلم، وذلك لأن المقتصدَ فعلَ الواجبَ وترك المحرم؛ فلا يُعاقب، ويدخل الجنة دخولًا أوليًا؛ لأنه فعل ما يجب عليه وترك ما حُرِّم عليه.

والسابق بالخيرات زاد على ذلك في المنافسة في الرغائب والنوافل والمستحبات؛ فَعَلَتْ درجتُه؛ قال تعالى في الحديث القدسي: «**ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أُحبه...**» الحديث.

قال: (**وَهَاكَ مَا سَأَلَ الرُّوْحُ الأَمِيْنُ رَسُوْلَ اللهِ عَنْ شَرْحِهِ**). (**وَهَاكَ**)؛ أي: سيأتي عند الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- ذكر ما سأل عنه الروحُ الأمينُ نبيَّنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ يشير إلى حديث جبريل المشهور: "عندما أتي النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على صورة أعرابي شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه من الصحابة أحد، حتى إذا جلس إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه، فسأله عن الإسلام، ثم الإيمان، ثم الإحسان"، ثم قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في ختام الحديث: «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**».

فالناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- سيذكر ما دل عليه هذا الحديث في الأبيات الآتية عنده رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(**وَهَاكَ مَا سَأَلَ الرُّوْحُ الأَمِيْنُ**): أي: جبريل، وقيل: إنه سميَ الروح؛ لأنه ينزل بالوحي الذي به حياة القلوب: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [سورة القدر، من الآية: ٤].

(**مَا سَأَلَ الرُّوْحُ الأَمِيْنُ رَسُوْلَ اللهِ عَنْ شَرْحِهِ**): لأنه قال: «**أخبرني عن الإيمان**»، «**أخبرني عن الإسلام**»، «**أخبرني عن الإحسان**»؛ فسأله عن شرحه؛ فأجاب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قال: (**وَالصَّحْبُ قَدْ شَهِدُوا**): أي: الصحابة شهدوا هذا الأمر؛ لأن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «**بينما نحن جلوس عند رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **اطلع علينا رجل**»، إلى آخر الحديث.

فـ(**الصَّحْبُ قَدْ شَهِدُوا**)؛ أي: الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ شهدوا هذه المحادثة وهذه الأسئلة والأجوبة.

(**فَكَانَ ذَاكَ الْجَوَابُ الدِّيْنَ أَجْمَعَهُ**): أو فكان ذاك الجوابَ الدينُ أجمعُه، كلاهما يستقيم؛ (**فَكَانَ ذَاكَ الْجَوَابُ الدِّيْنَ أَجْمَعَهُ**): أي: كان ذاك الذي أجاب به محمدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جبريل الدينَ أجمعه -أي: الدين كله-؛ لقول نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في تمام الحديث: «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»؛ فدلت هذه الجملة في تمام الحديث أن الدين كله جُمع في هذا الحديث؛ ولهذا يُسمي بعض العلماء هذا الحديث: أم السنة، مثل أن

الفاتحة تُسمى: أم القرآن؛ لأن الفاتحة جمعت إجمالًا ما حواه القرآن تفصيلًا، وحديث جبريل جمع إجمالًا ما حوته السنة تفصيلًا؛ فهو أم السنة.

(**فَافْهَمْهُ عَقْدًا صَفَا مَا شَابَهُ عُقَدُ**): أي: افهم هذا العقد، أي: هذه العقيدة الصافية النقية التي اشتمل عليها هذا الحديث العظيم -حديث جبريل-؛ فإنها عقيدة صافية نقية ما شابه أي شائبة، ولا خالطها أي مفسد أو مُكدِّر؛ بل هي عقيدة صافية حوت الخير كله.

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: باب الإيمان بالله -تعالى- وأسمائه وصفاته:

بِاللهِ نُؤْمِنُ فَرْدٌ وَاحِدٌ أَحَدٌ ** وَلَمْ يَلِدْ لاَ وَلَمْ يُولَدْ هُوَ الصَّمَدُ

وَلاَ إِلَهَ وَلاَ رَبَّ سِوَاهُ وَلَمْ ** يَكُنْ لَهُ كُفُوًا مِنْ خَلْقِهِ أَحَدُ

حَيٌّ سَمِيْعٌ بَصِيْرٌ جَلَّ مُقْتَدِرٌ ** عَدْلٌ حَكِيْمٌ عَلِيْمٌ قَاهِرٌ صَمَدُ

الشرح:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**باب الإيمان بالله -تعالى- وأسمائه وصفاته**)؛ الإيمان بالله جَلَّوَعَلَا أصلُ أصول الإيمان، وأعظم أركان الدين، وبقية أركان الدين وأصوله تبعٌ لهذا الأصل وفرعٌ عنه؛ كما يدل لذلك الآيات التي فيها ذكر أصول الإيمان: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٢٨٥]؛ هذه تبع؛ الإيمان بالملائكة، والإيمان بالكتب، والإيمان بالرسل؛ كلُ ذلكم تبع للإيمان بالله؛ والإيمان بالله هو الأصل؛ فالإيمان بالله أصل أصول الإيمان، وأعظم أركان الدين، ولهذا به يُبدأ ويُقدَّم على غيره؛ لأنه هو الأصل -أصل الأصول-، وأساس الأُسس.

والإيمان بالله هو الإيمان بوحدانية الله جَلَّوَعَلَا في ربوبيته، وألوهيته، وأسماءه وصفاته، ودين الإسلام سُميَ توحيدًا؛ لأن مبناه على الإيمان بوحدانية الله في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

وفي الأبيات التالية شرحٌ للإيمان بالله؛ بدأ ذلك بقوله:

(**بِاللهِ نُؤْمِنُ فَرْدٌ وَاحِدٌ أَحَدٌ**): نؤمن بالله بأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فرد، أي: متفرد بصفات الكمال، ونعوت العظمة والجلال؛ فليس له شبيهٌ ولا نظيرٌ ولا مثال -جلَّ وتقدَّس وتنزَّه ذي الجلال والجمال-.

(**وَاحِدٌ أَحَدٌ**): وهما إسمان من أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ الأحد وَرَدَ في سورة الإخلاص، والواحد ورد في عددٍ من آي القرآن، وهما يدلان على وحدانية الله، وتفرده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتنزهه عن الشبيه والمثال، وأنه وحده المعبود بحقٍّ ولا معبود بحقٍّ سواه، فواحد أحد في ربوبيته، وفي ألوهيته، وفي أسماءه وصفاته.

(**وَاحِدٌ**): لا رب سواه، ولا إله غيره، ولا معبود بحقٍّ إلا هو جَلَّ وَعَلَا.

(**وَاحِدٌ**): في أسماءه وصفاته، له الأسماء الحسنى والصفات العليا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى، من الآية:١١].

(**وَلَمْ يَلِدْ لاَ وَلَمْ يُولَدْ**): أي: ليس له جَلَّ وَعَلَا والد، وليس له ولد؛ نفي للأصل والفرع؛ وهذا من كمال غناه، وكمال صمديته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(**هُوَ الصَّمَدُ**): والصمد اسمٌ دال على الصمدية، وهذه الصفة –الصمدية– تدل على كمال غناه –سبحانه– عن خلقه، وعلى افتقار خلقه إليه؛ ولهذا قيل في معناه: الصمد الذي تصمد إليه الخلائق في حاجاتها ورغباتها؛ لأنها فقيرة إليه من كل وجه، وهو جَلَّ وَعَلَا صمدٌ غنيٌّ عن المخلوقات من كل وجه؛ فالصمد يدل على كمال غنى الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وعلى افتقار المخلوقات إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأنها لا غنى لها عنه طرفة عين.

(**وَلاَ إِلَهَ وَلاَ رَبَّ سِوَاهُ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا**): هذه المواضع الثلاثة كلها نفي، وكل واحد منها متعلق بقسم من أقسام التوحيد الثلاثة؛ فقوله: (**وَلاَ إِلَهَ**): هذا فيما يتعلق بتوحيد العبادة، لا إله سوى الله، لا معبود بحق إلا هو.

وقوله: (**وَلاَ رَبَّ سِوَاهُ**): هذا يتعلق بتوحيد الربوبية، تفرد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في ربوبيته.

وقوله: (ولم **يَكُنْ لَهُ كُفُوًا مِنْ خَلْقِهِ أَحَدُ**): هذا يتعلق بأسماء الله وصفاته وهو أن الله ليس له كفوا؛ أي: ليس له شبيه ولا نظير.

(**حَيٌّ سَمِيْعٌ بَصِيْرٌ**): هذه ثلاثة أسماء حسنى لله جَلَّ وَعَلَا؛ الأول الحي: وهو دال على كمال حياته سبحانه، حياةً لم تُسبق بعدم، ولا يلحقها فناء، ولا يعتريها نقص مستلزمة لكمال سمعه، وكمال بصره، وكمال قدرته، وكمال قيوميته، وكمال صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والسميع دال على ثبوت السمع لله؛ فهو سميع بسمعٍ وسع الأصوات كلها؛ كما قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات".

بصير ببصرٍ يبصر به تَبَارَكَ وَتَعَالَى جميع المخلوقات، يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء.

(جَلَّ مُقْتَدِرٌ): (جَلَّ)؛ أي: عَظُم وتعالى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فله الجلال.

(مُقْتَدِرٌ): وهذا اسم من أسماء الله الحسنى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [سورة القمر، من الآية:٥٥]؛ وهو دال على كمال قدرة الله -سبحانه-، وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

(عَدْلٌ حَكِيْمٌ عَلِيْمٌ قَاهِرٌ صَمَدُ): (عَدْلٌ)؛ أي: أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى متصف بالعدل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يظلم: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [سورة فصلت، من الآية:٤٦].

(حَكِيْمٌ): أي: له الحكم، والمتصف بالحكمة في أفعاله كلها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(عَلِيْمٌ): أي: متصف بالعلم، المحيط الشامل الذي وسع كل شيء؛ فعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، أحاط بكل شيءٍ علمًا، وأحصى كل شيء عددًا.

(قَاهِرٌ): أي: له جَلَّ وَعَلَا القهر والقوة والغلبة، وجميع المخلوقات تحت تدبيره وطوع تسخيره، ولا يعجزه منها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شيء. ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:١٨].

(صَمَدُ): مر الكلام على معناه.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هُوَ الْعَلِيُّ هُوَ الأَعْلى هُوَ المُتَعَا ** لي كُلُّ مَعْنَى عُلُوِّ اللهِ نَعْتَقِدُ
قَهْرًا وَقَدْرًا وَذَاتًا جَلَّ خَالِقُنَا ** مَا حَلَّ فِينَا وَلاَ بالْخَلْقِ مُتَّحِدُ
في سَبْعِ آي مِنَ القُرآنِ صَرَّحَ بِاسْـ ** تَوَى عَلَى العَرْشِ رَبّي فَهْوَ مُنْفَرِدُ
وَلَفْظُ فُوقٍ أَتَى مَعَ الاقْترانِ بِمِنْ ** وَدُوْنَهَا لِمُرِيْدِ الحَقِّ مُسْتَنَدُ
وَفِي السَّماءِ اتلُهَا فِي المُلْكِ وَاضِحَةً ** وَكَمْ حَدِيْثًا بِهَا يَعْلُوا بِهِ السَّنَدُ
وَتَعْرُجُ الرُّوْحُ وَالأَمْلاكُ صَاعِدَةً ** أَمَا إلى رَبِّهِمْ نَحْوَ الْعُلى صَعَدُوا
وَهَكذَا يَصْعَدُ المَقْبُوْلُ مِنْ عَمَلٍ ** مِنَ العِبَادِ لِمَنْ إياهُ قَدْ عَبَدُوا
كَذا عُرُوْجُ رَسُولِ اللهِ حِيْنَ سَرَى ** قُلْ لي إلى مَنْ لَهُ قَدْ كَانَ مُصْطَعَدُ؟
وَحِيْنَ خُطْبَتِهِ في جَمْعِ حَجَّتِهِ ** أَشَارَ رَأْسٌ لَهُ نَحْوَ العُلَى وَيَدُ
أَلَيْسَ يَشْهَدُ رَبُّ الْعَرْشِ جَلَّ عَلَى ** تَبْلِيْغِهِ ثُمَّ أَهْلُ الجَمْعِ قَدْ شَهِدُوا
وَسَنَّ رَفْعَ المَصَلِّي في تَشَهُّدِهِ ** سبَّاحَةً لِعُلُوِّ اللهِ يَعْتَقِدُ

الشرح:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**هُوَ الْعَلِيُّ هُوَ الأَعْلى هُوَ المُتَعَالي**): هذا البيت وأبياتٌ عديدة بعده يقرر فيها علو الله، ويذكر فيها الشواهد والدلائل على علوه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وبدأ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- هذه الأبيات التي يقرر فيها علو الله بذكر أسماءه الحسنى الدالة على علوه، وهي ثلاثة أسماء: العلي والأعلى والمتعال؛ العلي قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٢٥٥]، والأعلى في قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [سورة الأعلى، من الآية:١]، والمتعال في قوله تعالى في سورة الرعد: ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [سورة الرعد، من الآية:٩]، وقرأ بعضهم: (وهو الكبير المتعالي)، كما أثبتها الناظم هنا؛ فكلٌ منهما صحيح: المتعال والمتعالي. وفي التعبيد لهذا الاسم يصح أن يُقال: عبد المتعال، وأن يقال: عبد المتعالي.

قال: (**هُوَ الْعَلِيُّ هُوَ الأَعْلى هُوَ المُتَعَالي**): هذه الأسماء الثلاثة كلها دالة على العلو، ناطقة به مصرحة به؛ ولهذا قال: كل معنى علو الله نعتقد؛ أي: الذي دلت عليه هذه الأسماء ودلت عليه النصوص الكثيرة الآتي الإشارة إلى شيءٍ منها، فنعتقده أي: نؤمن به وندين الله به ونثبته له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله: (**كُلُّ مَعْنَى عُلُوِّ اللهِ نَعْتَقِدُ**): فيه التنبيه إلى أن العلو الذي دلت عليه هذه الأسماء يتناول جميع معاني العلو، وقد لخصها رَحِمَهُ ٱللَّهُ في البيت الذي بعده بقوله: (**قَهْرًا وَقَدْرًا وَذَاتًا**)؛ هذه معاني العلو:

علو القهر: أي: هو القاهر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وكل عباده تحت قهره وطوع تدبيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وعلو القدر: أي: المكانة. ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [سورة الحج، من الآية:٧٤].

وعلو الذات: أي: أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليٌّ بذاته فوق مخلوقاته.

فله العلو المطلق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قهرًا وقدرًا وذاتًا.

هذه الثلاث هي تفصيل لقوله في البيت الذي قبله: (**كُلُّ مَعْنَى عُلُوِّ اللهِ نَعْتَقِدُ**)، ومعاني علو الله هي هذه الثلاثة: القدر والقهر والذات، فنحن نعتقد أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى العلي قهرًا وقدرًا وذاتًا.

وأهل البدع المشتغلين بالتعطيل لا ينازعون في علو القهر والقدر، وإنما ينازعون في علو الذات؛ ولهذا سيسوق المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ الدلائل الكثيرة المقررة لعلو الذات لعلو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بذاته فوق مخلوقاته.

(**قَهْرًا وَقَدْرًا وَذَاتًا جَلَّ خَالِقُنَا**): أي: تنزه وتقدس سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(مَا حَلَّ فِينَا وَلاَ بالْخَلْقِ مُتَّحِدُ): يُثبت العلو لله ذاتًا فوق مخلوقاته، وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بائن منهم أي: ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته.

ويرد وينقض عقيدة الحلول والاتحاد بقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مَا حَلَّ فِينَا)؛ هذا إبطال لعقيدة الحلول وهي قول أرباب هذه المقالة الباطلة: إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حل في مخلوقاته.

وقوله: (وَلاَ بالْخَلْقِ مُتَّحِدُ): إبطال لعقيدة الاتحاد وهي أن الخالق اتحد بالمخلوق وامتزج به واختلط به فصارا شيئًا واحدًا؛ تعالى عما يقولون وسبحان الله عما يصفون. ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [سورة الصافات، من الآية:١٨٠].

قال: (فِي سَبْعِ آي مِنَ القُرآنِ صَرَّحَ بِاسْتَوَى): هذا دليل من أدلة العلو؛ أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في سبع آيات من القرآن الكريم صرَّح باستوائه على العرش؛ ستةٍ منها قال فيها: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:٥٤]، وواحدة قال فيها: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [سورة طه، من الآية:٥]، ففي القرآن سبعة مواضع فيها التصريح باستواء الله على العرش.

والاستواء معناه لغةً: العلو والارتفاع؛ فمعنى: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾؛ أي: استوى عليه. أي: ارتفع عليه، والعرش سقف المخلوقات وأرفعها وأوسعها وأكبرها؛ ولهذا وصفه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في القرآن بقوله: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ [سورة البروج، من الآية:١٥]، قُرِأت: المجيدُ -على اعتبار أن المجد صفة لله، وقُرأت: المجيدِ- على اعتبار أن المجد صفة للعرش، وكلٌ منهما كما قال ابن كثير: صحيح، فالعرش من صفاته المجد.

والمجد معناه في اللغة: السعة؛ فالعرش مخلوق كبير عظيم واسع، هو أوسع المخلوقات وأكبرها، وهو سقف المخلوقات وأعلاها، وقد أخبر جَلَّ وَعَلَا أنه استوى عليه أي: علا وارتفع عليه.

(فِي سَبْعِ آي مِنَ القُرآنِ صَرَّحَ بِاسْتَوَى عَلَى العَرْشِ رَبّي فَهْوَ مُنْفَرِدُ): أي: منفرد بصفات الجلال والكمال والعظمة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومنها علوه واستوائه على عرشه.

قال: (وَلَفْظُ فُوقٍ أتَى مَعَ الاقْترانِ بِمِنْ وَدُوْنَهَا): لفظ فوق نعتًا ووصفًا لله؛ جاء في القرآن مقترنًا بـ (من) وبدون (من)؛ حرف الجر، ففي آية من القرآن قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:١٨]، وفي آية أخرى قال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [سورة النحل، من الآية:٥٠]؛ فجاء لفظ: ﴿فَوْقَ﴾ وصفًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في

موضع من القرآن مقترنًا بـ (من)، وجاء في موضعٍ آخر من القرآن بدونها: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾، والفوقية معناها معروف وهو العلو والارتفاع، ﴿فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾؛ أي: عليٌّ عليهم.

(**لِمُرِيْدِ الحَقِّ مُسْتَنَدُ**): لمريد الحق في تقرير العلو وإثباته. (**مُسْتَنَدُ**): أي: حجة ومعتمد ومعوَّل، وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لِمُرِيْدِ الحَقِّ**)؛ لأن من لا يريد الحق ما تنفعه هذه الآيات: ﴿وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [سورة يونس، من الآية:١٠١]؛ ما تفيده! لا تفيده! هذه الآيات إلا من أراد الحق وقرأها ملتمسًا الهداية طالبًا السداد والتوفيق،

أما الذي يقرأ آيات القرآن الكريم ليُتَوِّلها وليصرفها عن ظاهرها؛ فهذا لا يستفيد من القرآن، والمعطلة عندما يقرأون آيات الصفات في القرآن، أو عندما يوردون آيات الصفات؛ يوردونها -كما قال شيخ الإسلام: إيراد من قصد ردها أصلًا-؛ فهو لم يوردها إيراد مريد الحق، وإنما أوردها إيراد من قصد ردها؛ لأن طريقتهم أنهم يعتقدون ثم يستدلون، ويحاولون تحريف النصوص وصرفها عن ظاهرها لتكون دليلًا لهم على معتقدهم.

قال: (**وَفِي السَّماءِ اتلُهَا فِي المُلْكِ وَاضِحَةً**): (**اتلُهَا**)؛ أي: اقرأها. (**فِي المُلْكِ**)؛ أي: في سورة الملك. (**وَاضِحَةً**)؛ أي: في إثبات علو الله، وفي سورة الملك في موضعين يقول الله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [سورة الملك، من الآية:١٦]، ثم قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [سورة الملك، من الآية:١٦]، وهذه واضحة في إثبات العلو -كما قال المصنف الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: (**وَاضِحَةً**)؛ في إثبات العلو؛ لأن السماء في اللغة: العلو، والله أخبر في هذه الآية أنه في العلو، قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [سورة الملك، من الآية:١٦]، أي: أمنتم من في العلو.

وقد يكون المراد بالسماء أي: المبنية -ليس مطلق العلو-؛ فحينئذٍ تكون بمعنى: على؛ فمعنى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [سورة الملك، من الآية:١٦]، أي: من على السماء، وفي الحديث يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**»؛ أي: ارحموا من على الأرض يرحمكم من على السماء.

فقوله في سورة الملك: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [سورة الملك، من الآية:١٦]؛ هذا من أدلة العلو.

قال: (**وَفِي السَّماءِ اتلُهَا فِي المُلْكِ وَاضِحَةً ... وَكَمْ حَدِيْثًا بِهَا يَعْلُوا بِهِ السَّنَدُ**): (**بِهَا**)؛ أي: هذه اللفظة: "في السماء". كم حديث يعلو به السند إلى النبي وردت به هذه اللفظة: (**وَفِي السَّماءِ**)؟ أحاديث كثيرة منه الحديث الذي أشرت إليه قبل قليل، وحديث: «**ألا تأمنوني وأن أمين من في السماء**»، وحديث الجارية: «**أين الله؟**»

قالت: في السماء، قال: «**اعتقها فإنها مؤمنة**». فكم من حديثٍ جاء فيه هذا اللفظ: (في السماء). (**يَعْلُوا بِهِ السَّنَدُ**)؛ أي: إلى النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ فهذا من الأدلة.

الآن كم مر علينا من دليل على علو الله؟! من يعدها لنا؟

١- إخبار الله باستوائه على العرش.

٢- إخباره بأنه في السماء.

٣- إخباره بفوق، هذه فوقية.

٤- أسماء الله الدالة على علوه.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَتَعْرُجُ الرُّوْحُ وَالأَمْلاكُ**): وهذا دليل من أدلة العلو؛ الروح هو جبريل، والأملاك: عموم الملائكة. من يذكر الآية؟

﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [سورة المعارج، من الآية:٤]، فيشير إلى هذا الدليل رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: (**وَتَعْرُجُ الرُّوْحُ وَالأَمْلاكُ**)؛ الروح جبريل، والأملاك: أي: عموم الملائكة.

(**صَاعِدَةً**): والعروج والصعود إنما يكون إلى أعلى، وقوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾: (إليه) الضمير يعود على الله، والعروج يكون إلى أعلى، ما قال: تنزل إليه الملائكة؛ قال: (**تَعْرُجُ**)، والعروج إلى أعلى، فإذًا هذا من الأدلة على علو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. إخباره في القرآن بعروج الملائكة إليه، والعروج إنما يكون إلى أعلى.

ولهذا أتى الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذه اللفظة: (**صَاعِدَةً**)؛ لمزيد التوضيح والتقرير لهذا الدليل؛ لأن الصعود إنما يكون إلى أعلى.

(**أَمَا إِلى رَبِّهِمْ نَحْوَ الْعُلى صَعَدُوا**): أي: أليس هذا دليل واضح؟! أليس نعرف نحن في لغة العرب أن الصعود إلى أعلى؟! إذًا إخبار الله عن الملائكة أنها تعرج إليه أليس هذا من أدلة علوه؟! (**أَمَا إِلى رَبِّهِمْ نَحْوَ الْعُلى صَعَدُوا**)؛ فإخبار الله جَلَّ وَعَلَا بصعود وعروج الملائكة إليه هذا من دلائل علوه؛ لأن الصعود والعروج إنما يكون إلى أعلى لا إلى أسفل.

ثم ذكر دليلًا آخر؛ قال: (**وَهَكذَا يَصْعَدُ المَقْبُوْلُ مِنْ عَمَلٍ ... مِنَ العِبَادِ لِمَنْ إياهُ قَدْ عَبَدُوا**). (**مِنَ العِبَادِ لِمَنْ إياهُ قَدْ عَبَدُوا**)؛ أي: إلى الله؛ كما قال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [سورة فاطر، من الآية:١٠]؛ فصعود العمل إليه هذا دليل على علوه.

(**وَهَكذَا يَصْعَدُ المَقْبُوْلُ مِنْ عَمَلٍ ... مِنَ العِبَادِ لِمَنْ إياهُ قَدْ عَبَدُوا**)؛ أي: إلى الله. فإخباره -تعالى- بصعود الأعمال المقبولة إليه دليلٌ على علوه؛ لأن الصعود إنما يكون إلى أعلى.

(**كَذا عُرُوْجُ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **حِيْنَ سَرَى**): أي: حينما أُسري به إلى بيت المقدس ثم عُرج به إلى السماء، والعروج إنما يكون إلى أعلى.

(**قُلْ لي إلى مَنْ لَهُ قَدْ كَانَ مُصْطَعَدُ؟**): يعني عروجه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلى من؟ ونعرف في حديث العروج أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذاك العروج المُبارك العظيم لقي ربه وكلَّمه وسمع كلام الله من الله، وفُرض عليه في عروجه فوق السماوات الصلوات المكتوبات، وسمع فرضها من الله مباشرة.

فيقول الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قُلْ لي إلى مَنْ لَهُ قَدْ كَانَ مُصْطَعَدُ؟**)؛ إذا لم يكن الله في العلو -كما يزعم المعطلة- إلى من كان المصطعد؟ أي: صعود النبي وعروجه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلى من؟ ونزوله بالصلوات المكتوبة قد فرضها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليه وعلى أمته ونزل بها؛ إلى من كان ذاك الصعود؟

وأذكر شخصًا قال لي: كنت أتناقش مع أحد هؤلاء المعطلة، فكان ينكر العلو؛ يقول: فقلت له فيما قلت: أنت بإنكارك العلو تنكر أمورًا كثيرة؛ منها إنكار فضل النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ومكانته العلية التي شرفه الله بها، وسقت له حديث العروج، وقلت له: هو في الصحيحين في البخاري ومسلم؛ وإلى من كان هذا العروج؟ يقول: فما أن سمع هذا الحديث إلا وقد انشرح صدره للإيمان والإقرار بعلو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. هذا من أدلة العلو، إلى من كان عروج نبينا محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟

المصيبة أن بعض المسلمين تركوا العقيدة المستفادة من حديث العروج، وتركوا أيضًا العبادة المستفادة من العروج -وهي الصلاة-؛ لا يعتنون بها ولا يحافظون عليها، وإذا جاءت في الليلة التي يُزعم أنها ليلة الإسراء والمعراج اجتمعوا على الاحتفال وأكل الطعام والشراب والنشيد والقصيد.. إلى آخره.

ثم ذكر دليلًا آخر على علو الله:

قال: (**وَحِيْنَ خُطْبَتِهِ فِي جَمْعِ حَجَّتِهِ ... أَشَارَ رَأْسٌ لَهُ نَحْوَ العُلَى وَيَدُ**): إشارة اليد والرأس منه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في أكبر مجمع حصل للمسلمين في زمانه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يوم عرفة، وأمام هذه الحشود والجموع الغفيرة أشار بيده وبرأسه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلى العلو، يرفع يده إلى السماء ثم ينكتها إلى الناس: «**اللهم فاشهد، ألا هل بلغت**»، قالوا: نعم، فيرفع أُصبعه إلى السماء ثم ينكتها إليهم: «**اللهم فاشهد**»؛ يعني: أنني بلغت، ثم يرفعها إلى السماء وأمام الجموع؛ هذه الإشارة بإصبعه: «**اللهم**»، أمام الجموع يرفع إصبعه مشيرًا إلى العلو وهو يقول:

«**اللهم**»؛ هذه من أدلة ماذا؟ من أدلة علو الله، وفي بعض كتب الضلَّال المبتدعة يقولون: الأصبع التي تشير إلى السماء مشيرة إلى الله بأنه في العلو؛ يجب أن تُقطع -يقولون-. يقولون: يجب أن تقطع، ويقولون: لا يجوز أن يُسأل عنه بـ (أين)!! وقد قال نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للجارية: «**أين الله؟**» قالت: في السماء، قال: «**اعتقها فإنها مؤمنة**».

قال: (**وَحِيْنَ خُطْبَتِهِ فِي جَمْعِ حَجَّتِهِ**)؛ حينما كان يخطب. (**فِي جَمْعِ حَجَّتِهِ**)؛ أي: في الجمع العظيم الذي كان في حجة الوداع. (**أَشَارَ رَأْسٌ لَهُ نَحْوَ العُلَى وَيَدُ**)؛ أي: يرفع رأسه إلى جهة العلو وأيضًا يرفع يده يرفع إصبعه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وينكتها إليهم إلى الجموع التي أمامه يقول: «**اللهم فاشهد**».

هذا ما هو؟ اسمع التساؤل الذي يطرحه الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(**أَلَيْسَ يَشْهَدُ رَبُّ الْعَرْشِ جَلَّ عَلَى تَبْلِيْغِهِ**): أليس النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بإشارته -هذه الإشارة- وكونه ينكتها إليهم قائلًا: «**اللهم فاشهد**»؛ أليس بإشارته يشهد رب العرش؟!«**ألا هل بلغت، اللهم فاشهد**»، أليس يُشهد رب العرش -جلَّ- على تبليغه؟!

(**ثُمَّ أَهْلُ الجَمْعِ قَدْ شَهِدُوا**): أي: الصحابة الكِرام الذين كانوا أمامه في ذاك الجمع قد شهدوا؛ أي: شهدوا له بالبلاغ.

الجواب: بلى، فهذا دليل قاطع وحُجة بينة على علو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على خلقه.

ولو لم يكن العلو صفةً لله؛ لكان رفع الإصبع أمام هذه الجموع وفيهم حديث الإسلام؛ لكان رفع الإصبع فيه تغرير بهم، ومخاطرة بهم، وإيهامهم بما ليس بحق؛ وهذا أمرٌ يُنزه عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ فهو الناصح الأمين. فإشارته بإصبعه أمام هذه الجموع يقول: «**اللهم**»، ويرفع إصبعه إلى السماء أمام الآلاف التي أمامه و هم ينظرون إليه ويشاهدونه، يرفع ويقول: «**اللهم..**»، هذا من الدلائل البينة الواضحة على علو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على خلقه.

ثم يذكر دليلًا آخر على علو الله؛ قال: (**وَسَنَّ رَفْعَ المَصَلِّي فِي تَشَهُّدِهِ ... سَبَّاحَةً لِعُلُوِّ اللهِ يَعْتَقِدُ**)؛ سُنَّ رفع المصلي في تشهده السباحة -السباحة هذه-، فسُنَّ للمصلي أن يرفع سباحته، قال: (**لِعُلُوِّ اللهِ يَعْتَقِدُ**)؛ ثم ذكر دليلًا آخر قال:.....

المتن:

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَكُـلُّ دَاعٍ إِلـى مَـنْ رَافـعٌ يَـدَهُ؟ ** إلاّ إلى مَنْ يَجِي مِنْ عِنْدِهِ المَدَدُ
وَكَـمْ لِهَـذَا براهِيْنًـا مُؤَيِّـدَةً ** وَحِـيْنَ يَسْـمَعُهَا الجَهْمـيُّ يَرْتَعِـدُ
وَنَحْـنُ نُثْبِـتُ مَـا الْوَحْيَـانِ تُثْبِتُـهُ ** مِنْ أَنَّ ذَا الْعَرْشِ فَوْقَ الْعَرْشِ مُنْفَرِدُ
يَدْنو كَمَا شَاءَ مِمَّنْ شَا وَيَفْعَلُ مَا ** يَشَـا وَلاَ كَيْـفَ فِي وَصْـفٍ لَـهُ يَـرِدُ
وَكُـلُّ أَسْـمَائِهِ الحُسْـنَى نُقِرُّبِهَـا ** مِمَّـا عَلِمْنَـا وَمِمَّـا اسْـتأْثَرَ الصَّـمَدُ
مُسْـتَيْقِنِيْنَ بِمَـا دَلَّـتْ عَلَيْـهِ وَمِـنْ ** ثَلاثَـةِ الأَوْجُـهِ اعْلَـمْ ذِكْرَهـا يَـرِدُ
دَلَّـتْ عَلَـى ذَاتِ مَوْلاَنَـا مُطَابقَـةً ** بِـهِ تَلِيْـقُ بِهَـا الـرَّحْمنُ مُنْفَـرِدُ
كَـذَا تَضَـمَّنَتِ الْمُشْـتَقَّ مِـنْ صِـفَةٍ ** نَحْـوَ الْعَلِـيْم بِعِلْـمٍ ثُـمَّ تَطَّـرِدُ
كَذَلِكَ اسْتَلْزَمَتْ بَاقِي الصِّفَاتِ كَمَا ** لِلْقُـدْرَةِ اسْـتَلْزَمَ الـرَّحْمنُ وَالصَّـمَدُ
وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي الْوحْيَيْنِ مِنْ صِفَةٍ ** للهِ نُثْبِتُهَـا والـنَّصَّ نَعْتَمِـدُ
صِـفَاتُ ذَاتٍ وَأَفْعَـالٌ نُمِـرُّ وَلاَ ** نَقُوْلُ كَيْفَ وَلاَ نَنْفي كَمَنْ جَحَدُوا
لَكِـنْ عَلَـى مَـا بِمَوْلاَنَـا يَلِيْـقُ كَمَـا ** أَرَادَهُ وَعَنَـاهُ اللهُ نَعْتَقِـدُ
وَفِي الشَّـهادَةِ عِلْـمُ القَلْـبِ مُشْـتَرَطٌ ** يَقِيْنُـهُ انْقَـدْ قَبُـوْلٌ لَـيْسَ يُفْتَقَـدُ
إِخْلاصُكَ الصِّدْقُ فِيْهَا مَعْ مَحَبَّتِهَا ** كَـذَا الْـوَلاَ وَالْبَـرا فيهـا لَهَـا عَمُـدُ
فِيه نُوالِي أُولِى التَّقْوَى وَتنْصُرُهُمْ ** وَكُـلُّ أَعْدائـهِ إِنَّـا لَهُـمْ لَعَـدُو

الشرح:

قال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: (**وَكُلُّ دَاعٍ إِلى مَنْ رَافعٌ يَدَهُ؟**): هذا دليل من أدلة العلو، وفي حديث سلمان: «**إن الله حييٌ كريم يستحيي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرًا**»؛ إذًا من أدلة العلو رفع اليدين في الدعاء؛ والمصنف أو الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول في تقرير هذا الدليل: (**وَكُلُّ دَاعٍ إِلى مَنْ رَافعٌ يَدَهُ؟**)؛ هذا من أدلة العلو قال يرفع يديه إليه، فرفع اليدين في الدعاء من دلائل علو الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وإلَّا لو لم يكن في العلو لم يكن لرفع اليدين أي معنى، وفي الابتهال ماذا يحدث؟ يزيد الرفع حتى يُرى بياض ابطيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في الاستسقاء؛ فهذا الرفع دليلٌ من أدلة علو الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ على عرشه.

(**إِلاَّ إلى مَنْ يَجِي مِنْ عِنْدِهِ المَدَدُ**): أي: الله؛ هذا الرفع لله الذي يأتي من عنده سُبْحَانَهُوَتَعَالَى المدد والغوث والخير والبركة، فيرفع يديه يطلب منه سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، يطلب من الذي يجيئ -أي يأتي- من عنده المدد.

لـمَّا ساق الأدلة على علو الله؛ لم يتقصَّ الأدلة وإنما ذكر طرفًا منها؛ ولهذا قال مشيرًا إلى كثرتها:

(**وَكَمْ لِهَذَا بِرَاهِيْنًا مُؤَيِّدَةً**): أي: أن هذا الذي هو العلو له براهين كثيرة، و(**كَمْ**) للتكثير؛ أي: كثيرة البراهين التي تؤيد علو الله، ابن القيم -رحمة الله عليه- في [النونية] يقول:

يـا قومنـا والله إن لقولنـا ألفًـا ** تـــدل عليـــه بـــل ألفـــان

قولنا: أي: علو الله، فالأدلة المؤيدة لعلو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى كثيرة جدًا. والناظم هنا -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- لما ذكر طرفًا من هذه الأدلة مقتصرًا عليه أشار بهذا البيت إلى كثرة الأدلة الدالة على علو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، بقوله: (**وَكَمْ لِهَذَا**)؛ أي: علو الله. (**بِرَاهِيْنًا مُؤَيِّدَةً**).

(**وَحِيْنَ يَسْمَعُهَا الجَهْمِيُّ يَرْتَعِدُ**): يعني لما تُقرأ وتُتلى هذه الآيات. (**يَرْتَعِدُ**)؛ أي يقشعر الجهمي منها، ولا يطيق سماعها؛ لأنها تنقض عقيدته، وتهدم ديانته، وتبطل مقالته؛ ولهذا يرتعد الجهمي.

يقول ابن القيم -رحمة الله عليه- في كتابه [**الصواعق**]: "جمعنا مجلس بأحد هؤلاء -وكان البحث في صفة الكلام-؛ فقال: أنا أضيف الكلام إلى الله -ويقصد بالإضافة إضافة خلق-، لكن ما الدليل الصريح على أن الله تكلم ويتكلم؟ أعطوني نص صريح ودليل على أن الله تكلم ويتكلم، قال ابن القيم: فقال أحد أصحابنا الحاضرين: قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: "ولشأني في نفسي أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بوحي يُتلى"، وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا تكلم الله بالوحي**». وساق له بعض أدلة أخرى، قال ابن القيم: فزوى بوجهه كأنما ذاق أخبث طعمٍ أو شم أنتن ريح!! وهذا موضع الشاهد وهذا من طبيعة الجهمي -والعياذ بالله-؛ لا يقيم حُرمةً للنصوص، وإذا تُليت زوى وأبغض ذلك وكره ذلك، بل نُقل عن الجهم -شيخ هؤلاء الذي تُنسب إليه مقالة الجهمية- أنه قال: لو وجدت سبيلًا إلى حك: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [سورة الرحمن، من الآية:٥]؛ من المصحف لحككتها!

فهذه الآيات والنصوص والدلائل على علو الله وعلى صفاته التي تبطل عقائد الجهمية برمتها؛ لا يطيق هؤلاء سماعها، ويقشعرون منها.

ولهذا قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَحِيْنَ يَسْمَعُهَا الجَهْمِيُّ يَرْتَعِدُ**)؛ إذًا هذه الآيات يمكن أن نقول أنها رُقية؛ إذا بُليت يومًا بمجلس مع جهمي؛ فعليك بهذه الآيات؛ لا تدخل معه في جدل عقيم، اقرأ الآيات إما أن يُشفى، وإما أن يُدبر ويولي عن المجلس؛ اقرأ عليه، قل له: خذ هذه الآية الأولى، والثانية، والثالثة، والرابعة، والخامسة، اتلوا عليه الآيات؛ فإما أن يُشفى من مرض التجهم، أو أن يُولي من المكان مُدبرًا؛ لأنه لا يطيق ذلك، فإما أن تكون شفاءً له من سقمه، أو يذهب من المكان وتسلم من شره وشبهه، لكن لا تدخل معه في جدلٍ عقيم.

قال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: (**وَنَحْنُ نُثْبِتُ**)؛ وهذه طريقة أهل السنة. (**وَنَحْنُ نُثْبِتُ مَا الْوَحْيَانِ تُثْبِتُهُ ... مِنْ أَنَّ ذَا الْعَرْشِ فَوْقَ الْعَرْشِ مُنْفَرِدُ**): هذه طريقتنا، نحن نثبت ما أثبته الوحيان، طريقتنا هذه، مثل ما قال بعض السلف مقررًا طريقتهم؛ قال: ندور مع السُّنة حيث دارت؛ أي: نفيًا وإثباتًا؛ فما ثبت في السُّنة أثبتناه، وما نـفيَ نفيناه، وهذا معنى قول الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَنَحْنُ نُثْبِتُ مَا الْوَحْيَانِ تُثْبِتُهُ**)؛ الذي يثبته الوحيان نثبته، والذي تنفيه الوحيان ننفيه، لا نزيد على الكتاب والسنة، كما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ونصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا نتجاوز القرآن والحديث".

قال: (**يَدْنوَ كَمَا شَاءَ مِمَّنْ شَا وَيَفْعَلُ مَا يَشَا**): كل هذا نعتقده، ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [سورة البروج، من الآية:١٦]؛ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، (**يَدْنوَ كَمَا شَاءَ مِمَّنْ شَا وَيَفْعَلُ مَا يَشَا**): كل نثبته في ضوء ما دل عليه كتاب ربنا وسُنة نبينا -صلوات الله وسلامه عليه-.

(**يَدْنوَ كَمَا شَاءَ مِمَّنْ شَا وَيَفْعَلُ مَا يَشَا وَلاَ كَيْفَ**): التكييف باطل، وطريقة أهل السنة في الصفات إمرارها كما جاءت بلا كيف، فالتكييف باطل، لا يجوز أن يُخاض في صفات الله بكيف، لا يقال: كيف يدنو؟، ولا يُقال: كيف ينزل؟، ولا يُقال: كيف استوى على العرش؟، قال الإمام مالك: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب"؛ فلا يجوز السؤال عن صفةٍ من صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بكيف.

قال: (**وَلاَ كَيْفَ فِي وَصْفٍ لَهُ يَرِدُ**): يعني: لا يقال: كيف في أي وصفٍ يرد من صفات الله، في كتابه أو سنة نبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، بل نُمر الصفات كما جاءت، ونؤمن بها كما وردت بدون تكييف.

وقوله: (**وَلاَ كَيْفَ**): المراد به: "لا تكييف"، أي: لا نُكيف، ونفي التكييف هو نفي علمنا بالكيفية، أما الصفات من حيث هي فلها كيفية يعلمها رب العالمين.

ثم قال: (**وَكُلُّ أَسْمَائِهِ الحُسْنَى نُقِرُّ بِهَا**): أي: نُقر بكل بأسماء الله الحسنى.

نسأل سؤال في أدلة العلو: هل منكم من عدَّها؟ عديتها؟

عشرة، اثنى عشر، إحدى عشر، عشرين، ابن القيم عدَّ أنواع العلو في النونية عشرين، وذكرها في النونية بالأرقام: "ثالثها، رابعها، خامسها..."، عشرين نوع تدل على علو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. فكم نوعًا ذكر الناظم هنا؟ اثني عشر؟ عدَّها.

مداخلة: ..... (١:١٣:٣٥)

باقي واحد، عروج النبي، ما عديته؟! على اعتبار أن العروج....

مداخلة: ..... (١:١٥:٠٠)

العروج دليل؛ عروج الملائكة وعروج النبي إذا قلت: عروج بعض المخلوقات يشمل، فهذه لك ولك مني أنا بعد جائزة.

قال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: (**وَكُلُّ أَسْمَائِهِ الحُسْنَى نُقِرُّبِهَا**)؛ قوله: (**وَكُلُّ**)؛ مفعول مقدم، نقر بكل أسماء الله الحسنى، (**وَكُلُّ أَسْمَائِهِ الحُسْنَى نُقِرُّبِهَا ... مِمَّا عَلِمْنَا وَمِمَّا اسْتأْثَرَ الصَّمَدُ**)؛ أي: نقر بأسماء الله الحسنى كلها ما علمنا منها وما لم نعلم، كما في حديث ابن مسعود المعروف بحديث: (الهَم)؛ قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**ما أصاب عبدٌ همٌّ ولا حَزَنٌ فقال: اللهمَّ إني عبدُك، ابنُ عبدِك، ابنُ أمَتِك، ناصيَتي بيدِك، ماضٍ فيَّ حُكمُك، عَدْلٌ فيَّ قضاؤُك، أسألُك بكلِّ اسمٍ هو لك، سميتَ به نفسَك، أو أنزلته في كتابِك، أوْ علَّمْتَه أحدًا مِنْ خلقِك، أو استأثرتَ به في علمِ الغيبِ عندَك**»؛ فنحن نؤمن بكل أسماء الله الحسنى، سواء منها ما علمناه في القرآن وفي السنة، أو ما لم نعلمه، نؤمن به إجمالًا، فنحن نؤمن بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى له الأسماء الحسنى والصفات العليا، وليست أسماء الله الحسنى محصورةً فيما ورد في الكتاب والسنة؛ بل هناك أسماء حسنى لله استأثر الله بالعلم بها.

وجاء في حديث الشفاعة أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يعلمني محامد أحمده بها لا أعلمها الآن**»، من حُسن الثناء عليه؛ فيُعلمه الله في ذلك اليوم أسماء يثني على الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بها غير الأسماء الموجودة في الكتاب والسنة. فهناك أسماء استأثر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالعلم بها.

والتوسل إلى الله بأسمائه هو أعظم وسيلة يتوسل بها إلى الله جَلَّ وَعَلَا.

قال: (**وَكُلُّ أَسْمَائِهِ الحُسْنَى نُقِرُّبِهَا... مِمَّا عَلِمْنَا**)؛ أي: مما ورد في الكتاب والسنة، (**وَمِمَّا اسْتأْثَرَ الصَّمَدُ**)؛ أي: مما استأثر الله العلم به كما في الحديث المتقدم: «**أو استأثرتَ به في علمِ الغيبِ عندَك**».

(**مُسْتَيْقِنِيْنَ بِمَا دَلَّتْ عَلِيْهِ**): يعني نحن نؤمن بالأسماء، وأيضًا عندنا يقين بما دلت عليه من الأوصاف، فهي عندنا ليست أسماءً جامدة، ولا أعلامًا محضة؛ بل هي أسماء دالةٌ على أوصاف؛ فهي أعلامٌ وأوصاف؛ ولهذا فنحن على يقين مما دلت عليه؛ فنؤمن بالسميع اسمًا لله، والسمع صفة، ونحن على يقين بثبوت السمع له، البصير اسمًا لله، والبصر صفة، ونحن على يقين بثبوت البصر صفةً له، وهكذا في جميع الصفات. (**مُسْتَيْقِنِيْنَ بِمَا دَلَّتْ عَلِيْهِ**).

(**وَمِنْ ثَلاثَةِ الأَوْجُهِ اعْلَمْ ذِكْرَها يَرِدُ**): أي: أن أدلة أو دلالات الأسماء الحسنى على المعاني والأوصاف هي من ثلاثة أوجه، يعني يرد من ثلاثة وجوه دلالات أسماء الله الحسنى من ثلاثة وجوه، ونحن نؤمن بما دلت عليه أسماء الله الحسنى من الأوجه الثلاثة؛ ما هي؟

يبينها -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في الأبيات التي بعدها:

(**دَلَّتْ عَلَى ذَاتِ مَوْلانَا مُطَابقةً ... بِهِ تَلِيْقُ بِهَا الرَّحْمنُ مُنْفَرِدُ**): هذا النوع الأول: دلالة أسماء الله بالمطابقة؛ لأن أنواع الدلالات ثلاثة: المطابقة، والتضمن، والالتزام.

ونحن نؤمن بما دلت عليه أسماء الله من هذه الأوجه الثلاثة: المطابقة، والتضمن، والالتزام.

والمطابقة: هي دلالة اللفظ على كامل معناه؛ فدلالة الاسم على الذات والصفة هذه مطابقة؛ لأن هذه هي دلالة الاسم بكامل معناه؛ فالاستدلال بالاسم على كامل معناه -أي: على الذات والصفة- هذه مطابقة، وإليه الإشارة في قوله: (**دَلَّتْ عَلَى ذَاتِ مَوْلانَا مُطَابقةً ... بِهِ تَلِيْقُ بِهَا الرَّحْمنُ مُنْفَرِدُ**)؛ فأشار -رحمة الله عليه- هنا إلى دلالة المطابقة وهي دلالة اللفظ على كامل المعنى، فنُثبت لله من اسمه الرحمنِ الذاتَ، ونُثبت أيضًا الصفة التي هي الرحمة؛ فإذا استدللنا بالرحمن على الذات والصفة فالدلالة مطابقة.

(**كَذَا تَضَمَّنَتِ الْمُشْتَقَّ مِنْ صِفَةٍ ... نَحْوَ الْعَلِيْمِ بِعِلْمٍ ثُمَّ تَطَّرِدُ**): أي: في بقية الأسماء، فإذا استدللت بالاسم على بعض معناه؛ كالاستدلال بالعليم على صفة العلم، والرحيم على صفة الرحمة، والعزيز على العزة، وهكذا؛ فهذه دلالة تضمن؛ لأن اسم الله العزيز يتضمن ثبوت العزة صفةً له، واسمه جَلَّ وَعَلَا العليم يتضمن ثبوت العلم صفةً له، فإذا استدللت بالعليم على العلم؛ فالاستدلال تضمن.

(**كَذَلِكَ اسْتَلْزَمَتْ**): هذا النوع الثالث، يعني: يمكن ترقم:

١- (**دَلَّتْ عَلَى ذَاتِ مَوْلانَا مُطَابقةً**).

٢- (**كَذَا تَضَمَّنَتِ**).

٣- (**كَذَلِكَ اسْتَلْزَمَتْ**)؛ دلالة الالتزام. (**كَذَلِكَ اسْتَلْزَمَتْ بَاقِي الصِّفَاتِ**)؛ دلالة الالتزام هي دلالة اللفظ على أمرٍ خارج معناه؛ فهذه تسمى دلالة الالتزام.

مثل أن تقول: أنا أستدل على كون الله حي باسمه السميع، أو أستدل بحياته على قدرته؛ فهذه تسمى دلالة التزام.

قال: (**كَذَلِكَ اسْتَلْزَمَتْ بَاقِي الصِّفَاتِ كَمَا**)؛ هذا مثال. (**كَمَا لِلْقُدْرَةِ اسْتَلْزَمَ الرَّحْمنُ وَالصَّمَدُ**): الآن لو استدللت باسم الله "الرحمن" على ثبوت القدرة صفةً له، أو استدللت باسمه الصمد على ثبوت القدرة له؛ ما نوع الاستدلال؟ هل هو مطابقة أو تضمن أو التزام؟ التزام؛ لأنك استدللت باللفظ على أمرٍ خارج معناه. فتقول: أنا أستدل بكون الله قدير باسمه الصمد، أو باسمه تَبَارَكَ وَتَعَالَى "الرحمن"؛ فالرحمن دليل على أنه قدير، الصمد دليل على أنه قدير. فهذه الدلالة تسمى دلالة التزام. هذا معنى قول المصنف: (**بِمَا دَلَّتْ عَلِيْهِ وَمِنْ... ثَلاثَةِ الأَوْجُهِ**)؛ المطابقة والتضمن والالتزام نحن نؤمن بأسماء الله بما دلت عليه سواء مطابقةً أو تضمنًا أو التزامًا.

- والمطابقة دلالة اللفظ على كامل معناه.
- والتضمن دلالة اللفظ على بعض معناه.
- والالتزام دلالة اللفظ على أمرٍ خارج معناه.

(**وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي الْوحْيَيْنِ مِنْ صِفَةٍ ... للهِ نُثْبِتُهَا والنَّصَّ نَعْتَمِدُ**): أي: طريقتنا في الصفات أننا نثبت كل ما جاء في الوحيين؛ كما تقدم في قول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "نصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا نتجاوز القرآن والحديث".

(**صِفَاتُ ذَاتٍ وَأَفْعَالٌ**): وهذا فيه أن الصفات نوعان:

صفات ذاتية وصفات فعلية، الذاتية: كالوجه واليدين والسمع والبصر، والفعلية: كالرحمة والرزق والإحياء والإماتة وغيرها، فنحن نثبت صفات الله الذاتية التي لا تنفك عن الذات ولا تعلق لها بالمشيئة، والفعلية التي هي متعلقة بالمشيئة، كل ذلكم نثبته لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(**نُمِرُّ وَلاَ نَقُوْلُ كَيْفَ**): كما قال السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: "أمروها كما جاءت بلا كيف"؛ هذه عبارة السلف صاغها رَحِمَهُ ٱللَّهُ شعرًا، قالوا: "أمروها كما جاءت بلا كيف".

والناظم قال: (**نُمِرُّ وَلاَ نَقُوْلُ كَيْفَ**): نمرها كما جاءت، أي: نؤمن بها كما وردت، وهي وردت محملة بالمعاني. فإمرارنا لها كما جاءت أي: بإثبات معانيها.

وقوله: بلا كيف: أي: لا نكيف، لا نخوص في الكيفية، الله أعلم بكيفية صفاته.

(**وَلاَ نَنْفِي كَمَنْ جَحَدُوا**): أي: المعطلة، (**وَلاَ نَنْفِي**)؛ أي: الأسماء والصفات.

(**كَمَنْ جَحَدُوا**): أي: كما جحد المعطلة أسماء الله وصفاته.

(**لَكِنْ عَلَى مَا بِمَوْلاَنَا يَلِيْقُ كَمَا ... أَرَادَهُ وَعَنَاهُ اللهُ نَعْتَقِدُ**): أي: طريقتنا في إثبات الصفات أننا نثبتها لله على ما يليق بالله. أي: نثبت صفات الله لله على الوجه اللائق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، (**كَمَا أَرَادَهُ وَعَنَاهُ اللهُ نَعْتَقِدُ**)؛ أي: نثبتها له على الوجه الذي يليق به كما أراده وعناه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هذا الذي نعتقده وندين الله به.

قال: (**وَفِي الشَّهادَةِ**): أي: شهادة أن لا إله إلا الله، (**عِلْمُ القَلْبِ مُشْتَرَطٌ**)؛ هنا يذكر شروط لا إله إلا الله التي لا تُقبل لا إله إلا الله إلا بها، كما جاء عن وهب بن منبِّه؛ قيل له: أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال: "بلى، ولكن ما من مفتاحٍ إلا وله أسنان؛ فإن جئت بمفتاحٍ له أسنان فُتح لك، وإلا لم يُفتح"، يشير إلى شروط لا إله إلا الله. فـ(لا إله إلا الله) لها شروط لا تكون مقبولةً إلا بها.

والناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الأبيات يسوق الشروط. شروط لا إله إلا الله.

بدأها بالعلم، قال: (**وَفِي الشَّهادَةِ عِلْمُ القَلْبِ**): العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا المنافي للجهل.

(**مُشْتَرَطٌ**): أي: شرطٌ لقبول لا إله إلا الله. قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة**»، وفي القرآن: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [سورة محمد، من الآية:١٩].

(**يَقِيْنُهُ**): هذا الشرط الثاني -نضع واحد فوق (**عِلْمُ**)، ونضع اثنين فوق (**يَقِيْنُهُ**)-، (**يَقِيْنُهُ**): هذا الشرط الثاني من شروط لا إله إلا الله؛ قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبدٌ غير شاك فيهما إلا دخل الجنة**». اشترط اليقين، واليقين هو انتفاء الشك، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [سورة الحجرات، من الآية:١٥]؛ أي: أيقنوا ولم يشكُّوا.

(**أُنْقَدْ**): هذا الشرط الثالث، وهو الانقياد المنافي للترك بلزوم وفعل ما تقتضيه لا إله إلا الله من الخضوع والذل والامتثال لأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(**قَبُوْلٌ**): هذا الشرط الرابع، أي: قبول لهذه الكلمة وعدم رد لها، خلافًا لحال المشركين الذين قال الله عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [سورة الصافات، من الآية:٣٥-٣٦].

(**قَبُوْلٌ لَيْسَ يُفْتَقَدُ**): أي: لا يفتقد في شروط لا إله إلا الله، وفي المحافظة عليه من أهل لا إله إلا الله.

(**إِخْلاصُكَ**): هذا الخامس، والإخلاص ينافي الشرك والرياء؛ بأن يكون التوحيد صافيًا نقيًا، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [سورة البينة، من الآية:٥].

(**الصِّدْقُ**): هذا السادس، والصدق المنافي للكذب خلافًا لمن ينطق بالشهادة بلسانه غير معتقدٍ لما دلت عليه في قلبه، ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [سورة المنافقون، من الآية:١]؛ أي: بألسنتهم فقط، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [سورة المنافقون، من الآية:١].

(**مَعْ مَحَبَّتِهَا**): هذا السابع من شروط لا إله إلا الله المحبة، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٦٥].

(**كَذَا الْوَلاَ وَالْبَرا فيها لَهَا عُمُدُ**): هذا الثامن من شروط لا إله إلا الله؛ أي من شروطها البراءة، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله**»، وقال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٢٥٦]؛ وهذا الشرط الثامن، بعض أهل العلم يضيفه، وبعضهم لا يضيفه لدلالة الشروط المذكورة عليه.

وفي سلم الوصول نظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- أيضًا الشروط بأبيات، من يحفظها؟

الْعِلْـــمُ وَالْيَقِـــينُ وَالْقَبُـــولُ ** وَالِانْقِيَـادُ فَـادْرِ مَـا أَقُـولُ

وَالصِّـدْقُ وَالْإِخْـلَاصُ وَالْمَحَبَّـةْ ** وَفَّقَـكَ اللهُ لِمَـا أَحَبَّـه

(**فيهَا نُوالي أولى التّقْوَى وَتنْصُرُهُمْ**): (**فيهَا**)؛ أي: "لا إله إلا الله" كلمة التوحيد: "لا إله إلا الله"، كلمة الإخلاص.

(**وَكُلُّ أَعْدائِهِ إِنَّا لَهُمْ لَعَدُو**): فـ(لا إله إلا الله) فيها نوالي وفيها نعادي.

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والشِّرْكُ جَعْلُكَ نِدًّا لِلإِلهِ وَلَمْ ** يُشارِكِ اللهَ في تَخْليْقِنَا أَحَدُ
تَدْعُوْهُ تَرْجُوْهُ تَخْشَاهُ وَتَقْصِدُهُ ** شَرٍّ وَمِنهُ الْخَيْرَ تَرْتَفِدُ
وَعِلْمُهُ بِكَ مَعْ سَمْعِ الدُّعَاءِ وَقُدْ ** رَةٍ وسُلْطَانِ غَيْبٍ فيْهِ تَعْتَقِدُ
مِثْلَ الأُلى بِدُعَا الأَمْوَاتِ قَدْ هَتَفُوا ** يَرْجُوْنَ نَجْدَتَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا لُحِدُوا
وَكَمْ نُذُوْرًا وَقُرْبَانًا لَهَا صَرَفوا ** ظُلْمًا وَمِنْ أَنْفَسِ الْمَنْقُوْشِ كَمْ نَقَدُوا
وَكَمِ قِبَابًا عَلِيْهَا زُخْرِفَتْ وَلَهَا ** أُعْلِي النَّسِيْجُ كِسَاءً لَيْسَ يُفْتَقَدُ
فَهُمْ يَلُوْذُوْنَ في دَفْعِ الشُّرُورِ بِهَا ** كَمَا لَهَا في قَضَا الْحَاجَاتِ قَدْ قَصَدُوا
وَيَصْرِفُونَ لَهَا كُلَّ الْعِبَادَةِ دُوْ ** نَ اللهِ جَهْرًا وَلِلتّوحِيْد قَدْ جَحَدُوا
إِنْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الأَفْعَالُ يَا عُلَمَا ** شِرْكًا فَمَا الشِّرْكُ؟ قولوا لي أَوِ ابْتَعِدُوا
إِنْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ شِرْكًا فَلَيْسَ عَلَى ** وَجْهِ الْبَسِيْطَةِ شِرْكٌ قَطُّ يُنْتَقَدُ

طيب.. لعلنا نقف.. والله تعالى أعلم، وصلَّى الله وسلَّم على عبد الله ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.